

بوابات راهوت

info@darak-egy.com ✉
02 24832669-010 27251915 📞
51 ب شارع النهضة – من امتداد رمسيس – القاهرة. 📍
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر. **دارك** للنشر والتوزيع

بوابات راهوت

أحمد خالد فؤاد

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: هالة أبو المجد

رقم الإيداع: 2019/25621

الترقيم الدولي: 3-34-6634-977-978

الطبعة الأولى: 2020

أحمد خالد فؤاد

بوابات راهوت

رواية



(1)

استيقظت مبكرًا ذلك اليوم أتأمل قطرات الندى الساقطة على أوراق الشجر، أشعة الشمس الخافتة المارة فوق الأزهار، الناس المارين بالشارع تحمل الهم على وجوهها، وموسيقى خافتة لأم كلثوم صادرة من محل مجوهرات صغير يمتلكه رجل مسن لم يتبق له في الحياة أحد فهو آخر من تبقى من عائلته، بعد موته سينتهي اسم عائلته للأبد، توفيت زوجته وابنه في حادث منذ زمن، أحيانًا أتساءل، من سيرثه؟ أتأمل وجهه الحزين وابتسامته التي يحاول أن يخفي بها حزنه ولكن أشعر بالحزن بداخله، أشعر بالحزن بداخل الأشخاص وكأنني قريب من أرواحهم الحزينة.

ارتديت ملابسني ووضعت سماعات الأذن لأنعزل عن العالم قليلًا على نغمات أغنية مجهولة، أتجه إلى مقهى قريب من منزلي، أطلب نفس المشروب وأرى نفس الأشخاص، أرتشف قهوتي وأنا أداعب روعي بالموسيقى الهادئة، المقهى الشعبي الذي أجلس عليه يمتلكه الحاج «إسماعيل مبروك» أخو «يوسف مبروك» مالك المقهى الذي على الناحية الأخرى، يقضيان معظم الوقت واقفين على الرصيف يتبادلان نظرات التحدي، لا يجلس على مقهى الحاج «يوسف» سواه ويحاسب على «مشاريبه في قهوته». أخرجت بعض الأوراق البيضاء ووضعتها أمامي على الطاولة لعل تزور كلماتي الأوراق أخيرًا

ولكن بلا جدوى، مر الكثير بأوراق بيضاء لا يزورها سوى قطرات القهوة الساقطة من فنجاني، لعلها رسالة استغاثة من الأوراق، فكلماتي لم تعد تجد لها طريقاً إلى الأوراق. أشعر بأنني أصبحت جافاً، صحراء جرداء بداخلي لا يزورها سوى الكافيين والنيكوتين الصادر من سجائر أصدقائي.

عدت إلى منزلي لأقضي ما تبقى من يومي به، أشاهد التلفاز وأحتسي قهوتي وألعب مع قطي العجوز، أتأمل أحياناً مقولة «القطعة بسبع أرواح»، لذلك كاد أن يفارق الحياة أكثر من مرة ولكنه في كل مرة يعود إلى الحياة وكأنه عاد بروح جديدة من السبع، متشبثاً بها ويقاوم ليبقى على قيد الحياة، ولكن ماذا سيحدث عندما تنتهي السبع حيوات؟ أسيعود بجسد قط آخر؟ أم أن روحه ستنتقل إلى عالم آخر في زمان آخر؟ ترهقني أفكار، لماذا لا أعيش فقط كالآخرين، أحقن جسدي بالنيكوتين وأكل حتى يصبح جسدي ممتلئاً؟ لماذا ترهقني أفكارى لأرى العالم بصورة مختلفة، صورة قد يعتقدها البعض مجنونة وليست حقيقية؟ شعرت أن كلماتي أثرت به فنظر إليّ بغضب وكأنني حسدته قبل أن يسقط على الأرض ولا يتنفس فحملته وهولت مسرعاً حاملاً قطي العجوز، هذه المرة السادسة التي يفارق بها الحياة، أعتقد أنه يتبقى له حياة واحدة أخيرة.

وصلت إلى عيادة صديق لي ووضعت على مكتبه، ألتقط أنفاسي بصعوبة والعرق يملأ المكان وملامح التوتر على وجهي، ماذا لو كانت هذه نهايته بعد سنوات كثيرة؟ ولكن يتبقى له روح، أنا أعلم ذلك. صديقي أخذ قطي العزيز محاولاً إنقاذه وأنا أنظر إلى الأرجاء أنتظر الروح السابعة، أعطاني صديقي القط ملامح الحزن، النهاية أحياناً تكون مُرضية للطرفين، فالقط ذاق الكثير ولم يفارق الحياة بسهولة. ولكنه تحرك مبتسماً لي — لحظة الوداع — نظر إليّ

نظرة غريبة، أثارت بداخلي شعور غريب وكأنه ليس قطاً يودع صاحبه، ولكن بدا الأمر أنه أكثر من ذلك، صرخت محاولاً إخبار صديقي بأن القط ما زال على قيد الحياة، قبل أن أشعر بأنفاس القط الأخيرة بين أحضاني. كانت الروح الأخيرة، الروح السابعة كانت لتوديعي.

دفتته بداخل بقعة قريبة من منزلي فلم يتعد كثيراً، تمشيت قليلاً واشترت سيجارة وهي أول سيجارة لي، شعور النيكوتين الممتزج بدمائي ليصل إلى مخي، وماذا بعد؟ رن هاتفي، فالיום من المفترض أن أقابل بعضاً من أصدقائي ليحكوا لي عن إنجازاتهم في الحياة، أو عن اقترابهم من الانفصال عن زوجاتهم، أو قصصهم المضحكة مع أطفالهم غير الظرفاء. لفت نظري أضواء خارجة من محل ولكن لا أحد يقف أمامه وكأنه كالعجوز الوحيد الذي لا يصادقه أحد، إنه مجرد افتتاح محل بدون زبائن، توجهت إلى هناك لأجد رجلاً عجوزاً فعلاً يرتدي بذلة وبيتسم لي، اقتربت أكثر محاولاً أن أعرف ما هذا المحل الذي لا يقترب منه أحد، لافتة عريضة على باب المحل:

«هل تعتقد أنك النسخة الوحيدة؟ يمكن أن ترى ما تريد أن تراه، ولكن

تحمل عواقبه بنفسك»

ما هذا الهراء؟ ضحكت واستهزأت من اللافتة، فابتسم العجوز بصمت ثم فتح الباب لي وكأنه يتحداني بالدخول وأنا لا أخسر التحديات، دخلت من الباب ولن أكذب قد أبهرني الديكور، أعتقد دائماً ما يكون الديكور مكلفاً لإبهار الزبائن ومع ذلك معظم الوقت تكون الخدمة سيئة، أتجول بداخل المكان منبهراً بالديكور قليلاً، سمعت صوت الباب الذي دخلت منه ينغلق بقوة خلفي، ولكن لم أجد الباب عندما نظرت خلفي! لم أجد سوى حائط، ابتسمت اعتقاداً مني أنه جزء من الديكور. ليس مطعمًا، وليس مقهى،

رسومات غريبة تملأ الحائط من كل الأزمنة والبلاد. تمشيت قليلاً حتى أصابني الملل، فصحت، «طب وبعدين؟ حد هنا؟»، لم يجب أحد، تمشيت حتى وجدت باب غرفة مفتوحاً قليلاً وضوءاً خافتاً يخرج منه، امرأة جالسة بالداخل، يتعالى الضوء الأحمر معظم الغرفة، تجلس مغمضة عينيها وأمامها كرة حمراء ويبدو أنها تمارس اليوجا، ساحرة تمارس اليوجا في ضوء أحمر، أستريني ما أريد أن أراه الآن؟ ألهذا لم يتجمع الناس حول المكان، والرجل العجوز لم يكن إلا «قواداً»؟ رجعت إلى الخلف قليلاً قائلاً، «واضح إني جيت غلط، أنا كنت فاكهه محل عادي»، توقفت الفتاة عن الحركة وفتحت عينيها ونظرت لي بابتسامة خافتة وأشارت إليّ بالجلوس، ثم انغلق الباب خلفي أيضاً، توترت قليلاً واقتربت منها قليلاً وجلست أمامها، ملامحها غريبة وكأنها كادت أن تكون جميلة وشابة ولكنها عجوز في نفس الوقت، وكأنها مصنوعة من جسدين فاختلفت ملامحهما ببعض، عيناها الواسعة وشعرها العجيب. نظرت إلى الكرة، كرة غريبة لم تكن كرة عادية، كرة بداخلها أشكال متداخلة من النيران، بالكاد أرى بشرًا يتحركون بداخلها، اقتربت من الكرة لأشعر بالحرارة المنبعثة من داخلها، أوقفتني يديها وقالت:

- احترس! ستصيبك النيران.

ابتسمت لها قائلاً:

- حسناً، لقد نلتِ إعجابي وأداؤك كممثلة عظيم، بالكاد صدقت بأنك ساحرة.

ابتسمت لي ومدت يديها فأعطيتها يدي وقالت:

- روحك صافية يا «خالد».

- كيف تعرفين اسمي؟
- روحك صافية وده شيء عجيب، ما صابك نجاسة ولا لوثك طين.
- ابتسمت لها ثم أخبرتها بعدم مبالاة:
- أنا لا أؤمن بالأرواح.
- هل نسيت ما قاله لك أبوك؟
- تتكلم بثقة وأنا أدرك تمامًا قصدها، صمت لثوانٍ قبل أن أخبرها متعجبًا:
- وماذا تعلمين عن أبي؟
- اذهب إلى قبر أبيك، وحاول أن تصل لكمال الروح.
- كمال الروح؟ ماذا تقصدين؟
- تخاريف؟ أما زلت لا تؤمن بكلام أبيك حتى بعد ما رأيت؟
- ماذا تقصدين؟
- اليوم الذي انفتحت فيه المقابر وانطلقت الأرواح حولكم، اليوم الذي اكتشف أبوك أن كل شيء كان يؤمن به حقيقي، وأنت شاهد على كل شيء.
- كنت أعلم أنها تتكلم عن ذلك اليوم، ساد الصمت هذه المرة لدقائق وكأن اليوم بالكامل قرر أن يمر أمام عيني من جديد بتفاصيله، ابتسامته الأخيرة وهو يودعني. مرت دقائق وأنا أنظر إليها، من أخادع، فهي تعلم ماذا تتكلم عنه. كادت الدموع تسقط من عيني وأنا أقول لها:
- هذا اليوم الذي فقدت أبي به.. لا أعلم ماذا حدث، برهني لي أن كلام أبي كان حقيقيًا.
- ابتسمت لي وهي تقول:

- تريد برهاناً على ماذا؟

- أنه توجد أرواح حولنا وحياة أخرى، أنه يوجد عالم آخر مختلف عن عالمنا.

- هل ستتحمل العواقب؟

أشرت برأسي بأنني موافق. حسناً، في الحقيقة نظراتها جعلتني أتردد للحظات. الأمر لم يبدُ كخدعة، وإن كانت خدعة فلا توجد خدعة متقنة لهذه الدرجة. مدت يدها لي فأعطيتها يدي، في أقل من لحظة وجدت دماء من كفي تتساقط فوق الكرة، جرحتني بسكين، لا أشعر بالألم ولكن أنا مصاب! نهضت من مكاني أصرخ وفي نفس الوقت نهضت هي من مكانها، وبالكد أشعر بأنها تطير من على الأرض، تضحك بصوت عالٍ وأصوات همس تتعالى من حولي، ينبض قلبي بقوة كبيرة والهمس يزداد، أفقد الوعي تدريجياً حتى سقطت على الأرض، اقتربت مني لتنظر إليّ بابتسامة ثم تلاشت الرؤية نهائياً.

(2)

شعرت بنبضات كادت أن تطيح بغلاف قلبي، نبضات متعالية تستغيث، الظلام حالك، يوجد شيء على عيني وفمي، تائه بين أصوات تتعالى وأصوات همس من حولي، أصوات غريبة لم أسمعها من قبل، لا أعلم من أنا ولا أعلم من أكون، لا أعلم ماذا أصبحت ولا أعلم ماذا كنت، لا أستطيع تحريك أطرافي وأشعر بقطرات الدماء الساقطة مني كصنبور مياه لم ينخلق بالكامل، الأصوات تقترب ولكن لا يمكنني تمييزها، أهي أصوات الموتى أم أصوات أحياء يفارقون الحياة؟ حاولت الصراخ بلا جدوى، تحولت أصوات الهمس تدريجياً إلى نغمات غريبة وأصوات خبط من حولي، هدأت الأصوات للحظات قبل أن يبدأ شخص بصوت غليظ أن يقول:

- أيها القوم، قد حان الوقت أن يعود سيدنا شاباً من جديد، أن يُبعث اليوم الخامس عشر كما قال الجان، اليوم هو يوم الاحتفال، سيحصل سيدنا على جسد جديد، عظام جديدة وعينين جديدتين، سيتنفس من جديد، وسيعود المجد لنا.

شعرت للحظات بأنني داخل فيلم عن تناقل الأرواح، وأيضاً استوعبت أنني معلق بالأعلى نظراً إلى أصواتهم الآتية من الأسفل، بدأت النغمات تعود من جديد، تزداد أصوات الاحتفالات وبدأ صوت العواء، عواء بشر وليس

الذئاب، فالذئاب تأكل ولا تترك ضحيتها تتعذب كثيراً. لم أفهم قصده بأن سيدهم سيحصل على جسد جديد وما علاقتي به! عقلي يؤلمني، أشعر بكل شيء من حويي ولكن لا يمكنني الرؤية، مئات الأفكار تتجول بداخل عقلي وما زالت الدماء تتساقط ببطء من داخل عروقي. ساد الصمت من جديد وتوقفت الطبول والهمس، توقفت حركات أرجلهم العالية، قطع أحدهم الحبال المربوط بها لأسقط على الأرض من ارتفاع كافٍ لتألم قليلاً، نهضت من مكاني وأصوات الضحك تزداد من حويي، التفت حويي بسرعة ويديا مكبلتان خلفي مما منعني من إزالة ما يضعونه على عيني وفمي، أتحرّك بطريقة عشوائية حويي وحرارة غريبة تزداد حواليّ، أمسك بي شخص وأوقعني على الأرض ثم كبطني بالأرض، وتزداد الحرارة أكثر، وأصوات الاحتفالات تعود من جديد ولكن بهدوء. بعد لحظات بدأت أشعر بأنفاس أمامي، أنفاس كريهة تقترب من وجهي كثيراً، أتمنى أن أرى ماذا يحدث، حتى إن كانت نهايتي على الأقل أرى كيف ستنتهي حياتي. تقترب الأنفاس أكثر وبدأ يلحق وجهي وكأنه يتذوق ضحيته قبل أن يأكلها، ابتعدت أنفاسه تدريجياً ثم ضحك ضحكة ضعيفة وكأنه رجل تجاوز القرن من عمره، رائحته كالجثث المتعفنة، شككت للحظات بأنهم أخرجوه من القبر ليحتفل معهم. بدأت الموسيقى الصاخبة وكان سيدهم أخبرهم بأنه معجب بالضحية وأعطاهم الإشارة لبدء الاحتفال بطريقة صاخبة.

أزالوا ما كان على عيني وفمي، بدأت الرؤية تعود تدريجياً بعد ثوانٍ، وجدت نفسي بداخل دائرة نارية — كما توقعت — يرقص أشخاص غريبو الشكل ملبسهم العجيبة، قلادات كبيرة، مشوهو الجسد ويجرحون أنفسهم ويلقون بدمائهم على النيران فتزداد النيران حرارة، وعندما اكتملت قدرتي

على الرؤية كاملة رأيتها.. ذلك الكائن القبيح النائم بجانبني ينظر إليّ بابتسامة متعفنة كادت رائحته أن تصيبني بالإغماء أكثر من مرة، صرخت، «من أنتم.. أين أنا؟!» ولكن لا إجابة سوى ضحكاتهم. أرى انعكاس صورتي بداخل عينيه. مر اثنان من وسط النيران يرتديان ملابس طويلة ويحملان عصيان مزخرفة وأنا مستلقٍ على دمايٍ أصرخ بقوة.

ينظران إلى القمر وبدأ يتلوان تلاوات بلغة غريبة، شعرت بأن روحي لم تعد مكتملة ولكنها لم تتركني، بعدها نظرا إليّ بتعجب ثم بدأ يتلوان من جديد ولكن بلا جدوى، قال أحدهم:

- روحه عذراء وطاهرة ولا يمكننا لمسها، نريد الجسد والروح، لن تتركه.

لم أفهم كلامهما جيداً ولكنني فهمته بعد لحظات عندما أشارا لفتاتين بالاقتراب، مرّتا وسط النيران لا ترتديان سوى القلادات، تقتربان مني وبدأتا في تلوين روحي بجسديهما المشوهان، متعة غير مرغوبة إذا بحثت عنها في الواقع فلن تجدها إلا إذا كنت تمتلك المال أو سيمًا، وها أنا أحصل عليها بالمجان، ولكن هل تلوّن الروح بتلك الأشياء؟ بدأ يتلوان من جديد ولكن هذه المرة شعرت بأن روحي تغادر جسدي تدريجيًا، يحترق جسدي وذلك الكائن بجانبني يتألم أيضًا، ما يحدث لي يحدث له، أفقد الشعور بجسدي، للحظات شعرت بأنني أرى روحينا تحلق فوق جسدينا ثم عدت إلى الظلام من جديد.

استيقظت لأجد نفسي بداخل جسد القبيح المشوّه، جسدي مرهق وعظامي متأكلة، تمر اللحظات كالسنين فلماذا لم يقتلونني؟ أحيانًا أشعر بأن الحيوانات أكثر رحمة من البشر، فلا ترى أسدًا يأكل قدم فريسته ويتركها

تتألم، فما بالك وقد أخذوا جسدي مني؟ أجلس على السرير بداخل غرفة متهالكة وباب خشبي وثلاثة حراس واقفون بالخارج وأصوات الموسيقى ما زالت بالخارج، ولكن لم نعد ليلاً فالشمس ساطعة، ورأيت في أثناء سطوعها ما حدث لي في وجود القمر، الحائط مليء بالرسومات القديمة غير المفهومة. سمعت خطوات أحدهم تقترب، إنه حارس بزي أكبر من حجمه وقف أمام الباب الخشبي وتكلم مع الحراس قليلاً ثم رمى لي بعض الخبز المتعفن وعظام الفراخ وكأني كلب ينتظر طعامه، ابتسمت له بغم خالٍ من الأسنان ثم نهضت من على السرير، أستطيع سماع طقطقة عظامي الهزيلة التي تحملني بصعوبة، واقتربت من الباب ببطء فأشار إليّ الحراس بالجلوس فعدت إلى مكاني أحاول أن أفهم ماذا يحدث حولي، أحاول أن أصرخ ولكن صرخاتي ضعيفة غير مسموعة. مرت فتيات بالقرب من الغرفة بهلباس شبه عارية أثارت الحراس قليلاً.

نظروا بعضهم إلى بعض ثم قال أحدهم باستهزاء:

- لنذهب ونحتفل كالجميع، فإنه عجوز وعظامه بالكاد تتحمل وزنه على أي حال.

تردد الحارسان الآخران ولكن انتهى ترددهم عندما بدأت الفتيات بالضحك بطريقة مثيرة فذهبوا مع الحارس الآخر وتركوني وحيداً.

أستطيع أن أرى نصف الشمس من النافذة، أتأملها، فأنا لا أعلم غيرها في هذا العالم، مهما ذهبت فالشمس واحدة، سمعت صوت خطوات أخرى، ظننت أن الحراس قد عادوا ولكن بتلك السرعة؟! أو الحارس الآخر لعله يلقي لي ببعض الديدان الآن مع الخبز المتعفن، ولكنها لم تكن سوى فتاة في أواخر

العشرينيات على ما أظن، نظرت إليّ نظرات سريعة وتحركت مبتعدة سريعاً، ناديتها، «أرجوكِ ساعديني!» أبطأت خطواتها ونظرت إليّ ثم اقتربت من الباب وقالت لي:

- لن يتجرأ أحد على مساعدتك. لقد فات الأوان وأصبح العجوز يستمتع بجسدك وأنت محبوس بداخل جسده.

صحت بداخلي، (أنا أعلم ذلك أيتها الحمقاء!) بالطبع لم أقل لها ذلك. نظرت إليها مجدداً وقلت لها:

- ساعديني على الخروج، ساعديني أن أواجه نهايتي خارج تلك الغرفة اللعينة!

نظرت الفتاة حولها ثم قالت بحزن:

- أنا آسفة.

التفتت الفتاة ورحلت بعيدة، أصابتنى خيبة الأمل فعدت خطوات إلى الخلف وجلست على السرير. مرت لحظات، دقائق، ساعات، لم أحصِ كم مر من الوقت، قد تكون دقائق ولكنها مرت كسنوات. أصوات..

العواء يعود من جديد وضوء الشمس قد انخفض قليلاً، ساعات قليلة وتتركنا الشمس من جديد ويعود القمر ليظمنن على ما حدث لي، أسمع صوت خطوات تقترب من جديد، لم أعد أهتم ولم أنظر إلا عندما سمعت صوت انفتاح الباب ثم صوت خطوات سريعة مبتعدة، فنهضت من مكاني واتجهت إلى الباب مسرعاً ثم ألقيت بعض النظرات إلى الخارج بحرص، ولكن لا يوجد أحد سواي، أسير بخطوات بطيئة وأستند إلى الحائط، وجدت نافذة فاقتربت منها وتشبثت بأطرافها لأسرق بعض النظرات إلى الخارج، قطع انتباهي صوت

الحراس وضحكات الفتيات بالقرب من مكاني، فقد انتهت أو أوشكت فقرة المتعة على الانتهاء ولن يتبقى سوى دقائق قبل أن يلاحظوا اختفائي، لفت نظري عربة مملوثة بالحشائش أسفل النافذة، تسلفت ببطء وقفزت منها، تعجبت أن عظامي تحملت تلك القفزة. أصوات الأبواق تتعالى ثم صاح أحدهم، «قد حان وقت الألعاب الدموية!» أرى الجثث الساقطة نتيجة ألعابهم العنيفة، وسمعت همسات الحراس بأن حياة الملك من السهل أن تنتهي إذا مات الشخص الذي يعيش بداخل جسده العجوز، هل يتكلمون عني أنا؟ أنا ذلك العجوز الذي يتكلمون عنه، الآن أنا أعلم كيف أنهي حياته بسبب همسات حارس غبي، سوف تنتهي أعظم تعويذة.

خرجت من العربة بعد قليل ووجدت ملابس وسكينة لشاب يستحم بالبحيرة، ارتديت ملابسه العجيبة وقبعة كبيرة وبدأت التحرك، أستند إلى ما يمكنني إيجاده وأحاول الاقتراب من الاحتفالات أكثر، اقتربت لدرجة كافية لأراه يصعد وسط الحشود بجسدي ويهتفون له ويبتسم لهم، هذا العجوز القبيح! حسناً، أنا العجوز القبيح الآن وهو يعيش بداخل جسدي الشاب. تحركت للأمام قليلاً، حاولت الاقتراب من المسرح، بحثت عن أعلى نقطة قد أصل إليها وفي نفس الوقت يمكنهم رؤيتي وأنا أنهي حياتي البائسة وحياته التي تبدأ من جديد بداخل جسدي، رأيت جرساً كبيراً محاطاً بتل صغير من الجثث، فكلما ازدادت الألعاب صعوبة ازداد عدد الجثث ليلقوا بها على جانب الطريق ليكونوا تلاً كبيراً من الجثث، سعدت فوقها بصعوبة حتى وصلت إلى الجرس ثم خلعت قبعتي ولكني لم ألفت نظر أحد، أرى الحارس يهمس لهذا المخلوق الأناني الذي يعيش بداخل جسدي، أظن أنهم أدركوا أخيراً أنني اختفيت، ولكنهم لا يعلمون أنني على وشك إنهاء أكبر تعويذة، رننت الجرس